

لقمان سليم



حزب الله
من البداية إلى البداية

مؤسسة دار الجدد | Dar al Jadeed

لقمان سليم



حزب الله
من البداية إلى البداية

Dar al Jadeed | مؤسسة دار الجديّد

صدر هذا الكُتَيْبُ يوم ٣ شباط (فبراير) ٢٠٢٣ - عامان على
اغتيال لقمان سليم بين نوحا والعدّوسية - جنوب لبنان.
التشكيل والإخراج والغلاف: طاهر حمد وقلم دار الجديد.
صورة الغلاف بعدسة وأمل حمزة.
www.LokmanSlim.org | www.dar-al-jadeed.com

الحرب تقدّم أوراق اعتمادها

... وَعَلَى مَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ، لَا بَأْسَ أَحْيَانًا مِنَ التَّذْكِيرِ
بِمَا يُفْتَرَضُ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ ذَلِكَ: فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ
نَيْسَانَ ١٩٧٥ بَدَأَتِ الْحَرْبُ فِي لُبْنَانَ، شَأْنِ حُرُوبِ
أُخْرَى، بَلْ قُلْ شَأْنِ الْمُعْظَمِ مِنَ الْحُرُوبِ، لَمْ يُطْلَقِ
اسْمُ الْحَرْبِ، أَوْ «الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ»، مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، عَلَى
مَا بَدَأَ يَوْمَئِذٍ، بَيِّدَ أَنْ اسْتِئْخَارَ التَّسْمِيَةِ فِي مَا يُشْبِهُ
السَّعْيِ إِلَى تَأْجِيلِ الاعْتِرَافِ بِأَنَّ حَرْبًا أَهْلِيَّةً قَدْ بَدَأَتْ،
وَالاسْتِعَاذَةَ مِنْ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ بِأَوْصَافٍ مُخَفَّفَةٍ، لَمْ
يَكُنْ مِمَّا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ لِيُغَيَّرَ مِنْ وَاقِعِ الْحَالِ شَيْئًا.

لا يَعْنِينَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَعُودَ إِلَى الْأَسْبَابِ الَّتِي تَسَبَّبَتْ بِإِنْدِلَاعِ تِلْكَ الْحَرْبِ عَلَى التَّحْوِ الَّذِي كَانَ وَلَكِنْ يَعْنِينَا أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَ جُزْئِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بَدِيهِيَّةٍ عَابِرَةٍ لِلْحُرُوبِ الْأَهْلِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ فِي بَلَدٍ تَحْكُمُهُ، نَظْرِيًّا، حُكُومَةً مَرَكْزِيَّةً وَمَفَادُ هَذِهِ الْجُزْئِيَّةِ أَنْ الْحُكُومَةَ الْمَذْكُورَةَ لَا تَفْقِدُ فَقَطْ مَرَكْزِيَّتَهَا السِّيَاسِيَّةَ وَلَكِنَّهَا تَفْقِدُ أَيْضًا، بِمِقْدَارٍ يَخْتَلِفُ مِنْ حَرْبٍ إِلَى أُخْرَى، سِيَادَتَهَا بِالْمَعْنَى الْمَجْرَدِ لِلْكَلِمَةِ كَمَا بِمَعْنَاهَا الْحَرْفِيُّ وَالْجُغْرَافِيُّ.

هُوَ كَذَلِكَ وَلَا إِخَالَنِي أَحْتَاجُ إِلَى التَّذْكِيرِ أَيْضًا بِأَنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ الَّتِي قَدَّمْتُ فِي ١٣ نَيْسَانَ ١٩٧٥ كُلَّ أَوْرَاقِ اعْتِمَادِهَا، كَانَتْ قَدْ ذَرَّتْ قَرْنَهَا لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ سَبَقَتْ وَأَنَّهَا، بِمِقْدَارٍ مَا كَانَتْ تَذُرُّ بِقَرْنِهَا، كَانَتْ سِيَادَةُ الدَّوْلَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ، بِالْمَعْنِيَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ أَعْلَاهُ، تَنْحَسِرُ، شَيْئًا فَشَيْئًا، لِمَصْلَحَةِ لَاعِبِينَ شَتَّى. وَلَقَدْ تُسْرِعُ إِلَى الْخَاطِرِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ هَؤُلَاءِ اللَّاعِبِينَ أَسْمَاءُ سُوْرِيَا وَإِسْرَائِيلَ وَمُنْظَمَةُ التَّحْرِيرِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ، وَلَا ضَيْرَ فِي ذَلِكَ شَرِيْطَةً أَلَّا يُغْفَلَ الْمَرْءُ بِأَنَّ هَذِهِ اللَّائِحَةَ لَيْسَتْ بِالْتَّامَّةِ. وَإِذْ تَتَعَدَّدُ التَّشَابِيهُ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُشَبَّهَ بِهَا الْحَرْبُ اللَّبْنَانِيَّةُ، أَوْ بِالْأُخْرَى التَّشَابِيهُ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُقَرَّبَ هَذِهِ الْحَرْبُ

إلى المُتَنَاولِ، فَكَأَنِّي بِـ«البَابِ الدَّوَّارِ» تَشْبِيهِهُ يَسْتَحِقُّ
الاسْتِثْمَارَ فِيهِ.

عراق صدام وإيران الخميني

لَنْ أُحْصِيَ عَلَى مَسَامِعِكُمْ كُلَّ اللَّاعِبِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا
لُبْنَانَ خَلَلَ هَذَا البَابِ الدَّوَّارِ، وَاسْتَقَرَّ لَهُمُ المَقَامُ فِيهِ،
أَوْ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ دَخَلُوا ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ كُتِبَ لَهُمْ،
وَعَلَيْهِمْ، أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ - بَلْ، فِي مُعْظَمِ الأَحْيَانِ، أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهُ عَنَوَةً. أَكْتَفِي مِنْ تِلْكَ اللَّائِحَةِ الطَّوِيلَةِ
مِنَ اللَّاعِبِينَ بِالإِشَارَةِ إِلَى لَاعِبَيْنِ اثْنَيْنِ فَحَسَبُ: عِرَاقُ
صَدَّامَ حُسَيْنٍ وَإِيرَانَ الخُمَيْنِيِّ.

لَقَدْ يَبْدُو فِي هَذَا العَطْفِ، اليَوْمَ - عَطْفِ عِرَاقِ صَدَّامَ
عَلَى إِيرَانَ الخُمَيْنِيِّ شَيْءٌ مِنَ العَبَثِ: فَعِرَاقُ صَدَّامَ،
غَيْرِ المَأسُوفِ عَلَيْهِ، صَدَّامًا أَعْنِي، التَّحَقُّ بِخَبَرِ كَانِ مُنْذُ
عُقُودٍ، أَيِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْقُطَ نِظَامُ صَدَّامَ، فِي حِينِ
أَنَّ رِايَاتِ إِيرَانَ الخُمَيْنِيِّ، السَّافِرَةَ مِنْهَا عَنَ فَارِسِيَّتِهَا،
والمُفْتَنَّةَ مِنْهَا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بِهِ مِنْ حَقِّ وَبَاطِلٍ
وَبِمَا لَمْ يُنْزَلِ، تُرْفَرُفُ مُتَجَبَّرَةً مُتَوَعِّدَةً فِي سَمَاءِ أَرْبَعِ
عَوَاصِمَ عَرَبِيَّةٍ...

فِيمَ أَعُودُ بِكُمْ إِلَى الْبِدَايَاتِ مِنْ حَرْبِ لُبْنَانَ وَفِيمَ
أَوَازِنُ بَيْنَ عِرَاقِ صَدَّامَ وَإِيرَانَ الْخُمَيْنِيِّ؟ بِبَسَاطَةٍ، لِأَنَّ
جُذُورَ الْأَلْغُوزَةِ الَّتِي نَتَدَاعَى الْيَوْمَ إِلَى فَكِّهَا تَضْرِبُ
هُنَاكَ - فِي لُبْنَانَ، وَفِي تَفَكُّكَ أَوْصَالِهِ وَأَوْصَالِ دَوْلَتِهِ،
وَفِي انْحِسَارِ سِيَادَةِ الدَّوْلَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ حَدَّ التَّلَاشِيِّ، وَفِي
حَرْبِ لُبْنَانَ، بِالْمَعْنَى الْأَوْسَعِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا بِالْمَعْنَى
العَسْكَرِيِّ الصَّيْقِ، وَفِي مَا يُشْبِهُهُ الْإِجْمَاعَ، مِنْ قُنُوطٍ
أَوْ مِنْ قِلَّةِ حِيلَةٍ، عَلَى التَّعَاضِي، وَلَوْ عَلَى مَضْضٍ، عَنْ
مُضِيِّ هَذِهِ الْحَرْبِ قُدُّمًا، وَعَلَى التَّغَاضِي، اسْتِطْرَادًا،
عَنْ ازْدِهَارِ الظُّرُوفِ الْمَوْضُوعِيَّةِ الَّتِي تُتِيحُ لِلْأَلْغُوزَةِ
إِيَّاهَا أَنْ تَزْدَادَ اسْتِغْلَاقًا وَعُمُوصًا، وَأَنْ تَقْوَى شَوْكَةً،
وَشَرًّا مِنْ هَذَا وَذَلِكَ أَنْ تُنْزَلَ نَفْسَهَا فِي عُيُونِ الْبَعْضِ،
وَفِي حِسَابَاتِهِمْ، مَنْزِلَةَ الرُّكْنِ مِنْ أَرْكَانِ الْاسْتِقْرَارِ - أَقْلُهُ
اسْتِقْرَارُ لُبْنَانَ!

أَعُودُ عَوْدِي عَلَى لُبْنَانَ الْحَرْبِ وَعِرَاقِ صَدَّامَ: نَعَمْ،
مَضَى حَيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ كَانَ فِيهِ لِهَذَا الْعِرَاقِ، وَلِبَعْثِهِ،
حُضُورٌ وَمَنْزِلَةٌ يَصْعُبُ الْيَوْمَ أَنْ نَتَخَيَّلَ مَا كَانَا عَلَيْهِ
مِنْ اتِّسَاعٍ: كَانَ لَهُ، عَشِيَّاتِ الْحَرْبِ، نُوَابٌ فِي الْبِرْلَمَانِ
اللُّبْنَانِيِّ، وَكَانَ لَهُ خِلَالَ الْحَرْبِ مُمَثِّلُونَ فِي الْمَيْدَانِ
بِشَخْصِ مِيلِيشِيَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ: وَاحِدَةٌ لُبْنَانِيَّةٌ هِيَ الْجَنَاحُ

العسكريُّ لِحِزْبِ البَعْثِ وَأُخْرَى فِلِسْطِينِيَّةٌ هِيَ «جَبْهَةٌ
التَّحْرِيرِ العَرَبِيَّةِ»، وَحَدَّثُ وَلَا حَرَجَ عَن كُلِّ أَوْجِه
الحُضُورِ الأُمْنِيَّةِ وَالتَّقَافِيَّةِ وَالإِغَاثِيَّةِ الأُخْرَى.

حسُنُ الضيافة الثوريّة

أعودُ عَوْدِي عَلَى لُبْنَانَ الْحَرْبِ وَإِيرَانَ الْخُمَيْنِيِّ فَأَقُولُ
لَا مُنْزَهًا قَوْلِي عَنِ النَّقَاشِ فِيهِ، أَوْ لَرُبَّمَا عَنْ تَصْوِيهِ:
لَا يُضَاهِي سُهولةً تَتَّبِعُ حُضُورَ عِرَاقِ صَدَّامِ فِي لُبْنَانَ،
رُغْمَ عِرَاقَةِ هَذَا الْحُضُورِ بِلِحَاظِ أَنَّ عِرَاقَ صَدَّامِ إِنَّمَا
وَرِثَ، فِي لُبْنَانَ كَمَا فِي بُلْدَانِ أُخْرَى، التَّارِيخَ الْمَدِيدَ
لِصِرَاعِ الْبَعْثِيِّينَ، إِلَّا صُعُوبَةً تَتَّبِعُ حُضُورَ إِيرَانَ الْخُمَيْنِيِّ
فِيهِ. وَلِهَذَا ثَلَاثَةُ أَسْبَابٍ عَلَى الْأَقْلَى: أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّ حُضُورَ
إِيرَانَ الْخُمَيْنِيِّ، قَبْلَ إِسْقَاطِ نِظَامِ الشَّاهِ، إِنَّمَا انْدَرَجَ
فِي إِطَارِ «حُسْنِ الضِّيَافَةِ الثَّوْرِيَّةِ» - إِنْ جَازَتْ الْعِبَارَةُ
- الَّذِي عَمَّمَهُ اسْتِيلاءُ مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ عَلَى
نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ السِّيَادَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا ارْتَبَطَ فِي
الْمَحَلِّ الْأَوَّلِ بِأَفْرَادٍ وَبِمَجْمُوعَاتٍ مُبْعَثَرَةٍ وَلَوْ أَنَّ بَعْضَ
الْأَفْرَادِ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ تَبَوَّأُوا، مَعَ إِسْقَاطِ نِظَامِ الشَّاهِ،
مَنَاصِبَ عَالِيَةً فِي النُّظَامِ الْخُمَيْنِيِّ؛ وَأَمَّا الثَّانِي، فَإِنَّ

المَرْحَلَةَ التي اَمْتَدَّتْ بَيْنَ إِسْقَاطِ نِظَامِ الشَّاهِ، وَبَيْنَ
استِعْلَاءِ الخُمَيْنِيَّةِ عَلَى «الثَّوْرَةِ» هي مِنْ أَعْقَدِ المَرَاحِلِ
في التَّارِيخِ الإِيرَانِيِّ الحَدِيثِ مِنْ حَيْثُ ما شَهِدَتْهُ مِنْ
صِرَاعَاتٍ بَيْنَ القَوَى المُتَنَافِسَةِ عَلَى السَّاحَةِ الإِيرَانِيَّةِ،
وَأَمَّا التَّالِثُ فَالسياساتُ المُلتَبِسَةُ لِلنَّظَامِ السُّورِيِّ، ذِي
الثُّفُوذِ الرَّاسِخِ في لُبْنانِ مِنَ الحُضُورِ الإِيرَانِيِّ فِيهِ،
عِلْمًا، وَمِنْ بابِ التَّذْكِيرِ لَيْسَ إِلا، أَنَّ النُّظَامَ السُّورِيَّ كانَ
أَوَّلَ المُبَادِرِينَ إِلى الإِعْتِرافِ بِإِيرانِ الجَدِيدَةِ.

شأنُ كُلِّ الحُرُوبِ التي سَمِعَ الواحِدُ مِنَّا عَنْها أَوْ قَرَأَ، أَوْ
حَتَّى تَلَكَ الدَّائِرَةَ مِنْ حَوْلنا، لا حَرْبَ تَقْبَلُ التَّصْرِيْفَ
والتَّعْرِيفَ بِصيغَةِ المُفْرَدِ؛ فَالحَرْبُ لا تَنْتَظِرُ أَنْ يُوافِيها
سَنُّ البُلُوغِ لِتَبْدَأَ بِالتَّناسُلِ. وَهَذا ما كانَ مِنْ أَمْرِ الحَرْبِ
التي اسْتَهْلَتْ كَلامِي بِالحَدِيثِ عَنْها: حَرْبِ لُبْنانِ.

حرب السفارات

في عدادِ حُرُوبِ صَغِيرَةٍ كَثِيرَةٍ شَهِدَهَا لُبْنَانُ عَشِيَّةَ الْمُعْطَفِ الَّذِي كَانَهُ اجْتِيَا حُ إِسْرَائِيلَ فِي حُزَيْرَانَ ١٩٨٢، كَانَتْ حَرْبٌ لَمْ تَنْلُ، لِسُوءِ الْحَظِّ، حَقٌّ نَصِيهَا مِنَ التَّوْثِيقِ وَمِنَ الْبَحْثِ وَمِنَ الدَّرَاسَةِ بِلِحَاطِ مَفَاعِيلِهَا، بَيْنَ عِرَاقِ صَدَّامَ وَبَيْنَ إِيرَانَ الْخُمَيْنِيِّ فِي لُبْنَانَ.

بِمَا يُشْبِهُ الدُّعَابَةَ أَطْلَقَ بَعْضُ الْإِعْلَامِ اللَّبْنَانِيِّ عَلَى هَذِهِ الْحَرْبِ اسْمَ «حَرْبِ السُّفَارَاتِ» بِاعْتِبَارِ أَنَّ أَجْلَى تَعْبِيرَاتِ هَذِهِ الْحَرْبِ كَانَتْ تِلْكَ الْإِشْتِبَاكَاتُ الَّتِي وَقَعَتْ، طَوَالَ أَشْهُرٍ، دَوْرِيًّا، بَيْنَ مُسَلِّحِينَ مُتَحَصِّنِينَ فِي مَبْنَى السُّفَارَةِ الْعِرَاقِيَّةِ، (سَابِقًا)، وَبَيْنَ مُسَلِّحِينَ مُتَحَصِّنِينَ فِي مَبْنَى الْمُسْتَشَارِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ الْإِيرَانِيَّةِ؛ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى شِقِّهَا الْمَشْهُدِيِّ هَذَا الَّذِي انْتَهَى رَمْزِيًّا يَوْمَ أَنْ افْتَحَمَ انْتِحَارِيٌّ مَبْنَى

السَّفَارَةِ الْعِرَاقِيَّةِ وَأَحَالَهَا إِلَى أَثَرٍ بَعْدَ عَيْنٍ. فَالِى
جَانِبِ الْحَرْبِ الصَّرِيحَةِ بَيْنَ تَيْنِكَ الْمَبْعُوثِيَّيْنِ
الدِّيَلُومَاسِيَّيْنِ كَانَتْ هَذِهِ الْحَرْبُ تَمْضِي عَلَى قَدَمٍ
وَسَاقٍ، هُنَا عَلَى صُورَةِ اشْتِبَاكِ مَوْضِعِيٍّ، وَهُنَاكَ عَلَى
صُورَةِ تَفْجِيرٍ لِمَكْتَبِ حِزْبِيٍّ، وَهُنَا لِكَ عَلَى صُورَةِ
اغْتِيَالٍ سِيَاسِيٍّ.

لَنْ أَكْرَرَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِي بِأَنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ الَّتِي
دَارَتْ «بِالتَّجْزِئَةِ» تَسْتَحِقُّ مَزِيدَ تَوْثِيقٍ وَبَحْثٍ وَإِنَّمَا
أَثْبُتُوا إِلَى الْخُلَاصَةِ الَّتِي تَعْنِينَا فِي هَذَا الْمَقَامِ
وَالَّتِي مَفَادُهَا أَنَّ هَذِهِ الْحَرْبَ آذَنْتْ بِشُرُوعِ إِيرَانَ
الْحُمَيْنِيِّ بِتَنْفِيذِ خِطَّةِ «تَطْهِيرِ سِيَاسِيٍّ» فِي صُفُوفِ
اللُّبْنَانِيِّينَ الشَّيْعَةِ يَنْتَهِي الْأَمْرُ مَعَهَا بِتَحَوُّلِ هَذِهِ
الْجَمَاعَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ إِلَى جَمَاعَةٍ ذَاتِ صَفَاءٍ مَذْهَبِيٍّ طَارِدٍ
لِلتَّنَوُّعِ، أَوْ فِي الْأَقْلِّ ذَاتِ شُعُورٍ بِالصَّفَاءِ الْمَذْهَبِيِّ، أَيْ
إِلَى كُنْتَلَةِ صَمَاءٍ، أَوْ شِبْهِ صَمَاءٍ، يَسْهُلُ التَّحَكُّمُ بِهَا
وَبِمَقْدِرَاتِهَا وَبِمَصِيرِهَا. لَقَدْ تُثِيرُ الْإِحَالَةَ إِلَى «إِيرَانَ
الْحُمَيْنِيِّ» بَعْضَ التَّحْفُظِ حَيْثُ إِنَّ مُلْكَ إِيرَانَ وَمَلِكِهَا
لَمْ يَكُنْ قَدْ آلَ بَعْدُ، بِالْكَامِلِ، إِلَى الْحُمَيْنِيِّ وَنَهْجِهِ،
وَلَكِنَّ الرَّدَّ عَلَى هَذَا التَّحْفُظِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الشَّاقِّ.
فَمَنْ يُدَقِّقُ فِي الْحُضُورِ الثَّوْرِيِّ الْإِيرَانِيِّ فِي لُبْنَانَ مَا

قَبْلَ إِسْقَاطِ نِظَامِ الشَّاهِ وَمَا بَعْدَهُ يَتَبَيَّنُ، يُسْرًا، أَنَّ
الرُّجْحَانَ فِي هَذَا الْحُضُورِ كَانَ لِذَلِكَ التَّهْجِ مِنْ خِلَالِ
أَعْتَى دُعَاتِهِ.

التطهير السياسي

وَشَأْنُ الإِحَالَةِ إِلَى «إِيرَانَ الخُمَيْنِيَّ»، لَقَدْ يُثِيرُ
الْحَدِيثُ عَنْ خِطَّةِ «تَطْهِيرِ سِيَاسِيَّ» بَعْضَ التَّحَفُّظِ،
أَوْ لَقَدْ تَنَسَّبَ الْقَائِلَ بِهَا إِلَى طَائِفَةِ الدَّسَائِسِيِّينَ
الْمُؤَامِرَاتِيِّينَ، وَمِنْ ثَمَّ مَا يَبْدُو لِي مِنْ مَوْجِبِ
المُسَارَعَةِ إِلَى التَّعْلِيْقِ المَوْجَزِ عَلَى هَذَا التَّحَفُّظِ
فَأَقُولُ: لَوْ لَمْ يَكُنِ «التَّطْهِيرُ السِّيَاسِيُّ» فِي صُفُوفِ
اللُّبْنَانِيِّينَ الشَّيْعَةِ جُزْءًا لَا يَتَجَرَّأُ مِنْ فَلَاسَفَةِ «تَصْدِيرِ
الثُّورَةِ» إِلَى لُبْنَانَ الَّذِي وَضَعْتَهُ إِيرَانُ الخُمَيْنِيَّ،
مُبَكِّرًا جِدًّا، نَصَبَ عَيْنَيْهَا، وَلَوْ أَنَّ اغْتِيَالَاتِ قَادَةِ
الرَّأْيِ وَأَصْحَابِ الدَّالَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ فِي
تِلْكَ المَرَحَلَةِ لَمْ يَعُدْ كَوْنُهُ بَعْضًا مِنَ الحَرْبِ بَيْنَ
العِرَاقِ وَإِيرَانَ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ، لَمَّا تَوَاصَلَتْ هَذِهِ
الِاغْتِيَالَاتُ بَعْدَ «اجْتِثَاثِ» عِرَاقِ صَدَّامِ مِنْ لُبْنَانَ
مُسْتَهْدِفَةً أَفْرَادًا لَا شَأْنَ لَهُمْ بِالعِرَاقِ وَلَا بِبَعْثِهِ،
بَلْ لَمَّا اسْتَمَرَّتْ، حَتَّى الأَمْسِ القَرِيبِ، مُنْبَهَةً مَنْ

تَسْؤُلُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ الْخُرُوجَ عَلَى الْجَمَاعَةِ خُرُوجًا
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَهْدَدَ تَمَاسُكَهَا، أَوْ صُورَةَ تَمَاسُكِهَا، بِأَنَّ
كَاتِمَ الصَّوْتِ، أَوْ مَا يُعَادِلُهُ مِنْ أَدَوَاتِ الْقَتْلِ الْمَادِيِّ
أَوْ الْقَتْلِ الْمَعْنَوِيِّ، بِالْمِرْصَادِ. وَإِذَا كَانَ الْاِغْتِيَالُ هُوَ
وَسِيلَةُ التَّطْهِيرِ السِّيَاسِيِّ الْأَشْيَعُ مَتَى مَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ
بِالْأَفْرَادِ، فَلِلتَّطْهِيرِ السِّيَاسِيِّ مَتَى مَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ
بِالْعَشَائِرِ وَسَائِلُهُ، وَمَتَى مَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِالْمُجْتَمَعَاتِ
الرِّيفِيَةِ وَسَائِلُهُ وَعَلَى مَا تَقَدَّمَ قِسْ.

إِنْفَادًا لِخِطَّةِ «التَّطْهِيرِ السِّيَاسِيِّ» تِلْكَ، لَمْ تَكْتَفِ إِيرَانُ
بِاسْتِنْفَارِ مَا تُبَسِّرُ لَهَا الْوَصَايَةَ الْمُبَاشِرَةَ عَلَيْهِ مِنْ
حَرَكَةِ أَمَلِ التِّي كَانَ تَأْسِيسُهَا أَوْاسِطَ السَّبْعِينِيَّاتِ عَلَى
يَدِ السَّيِّدِ مَوْسَى الصَّدْرِ، وَالتِّي لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ لَهَا
مِنْ قَضِيَّةٍ مَعَ «تَغْيِيبِ» هَذَا الْمَوْسِسِ سِوَى الْمُطَابَّاتِ
بِعَوْدَتِهِ، وَلَمْ تَكْتَفِ بِاسْتِنْفَارِ حَمِيَّةِ اللَّبْنَانِيِّينَ الشَّيْعَةِ
تَحْتَ عُنْوَانِ التَّضَامُنِ مَعَ إِخْوَانِهِمُ الْعِرَاقِيِّينَ الشَّيْعَةِ،
وَلَكِنَّهَا أَسْفَرَتِ الْقِنَاعَ أَيُّضًا عَمَّا كَانَتْ قَدْ بَاشَرَتْ
بِإِنْشَائِهِ مِنْ مَنظُومَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ | أَمْنِيَّةٍ خَاصَّةٍ بِهَا
وَمُؤْتَمَرَةٍ مُبَاشِرَةً بِأَوَامِرِهَا. وَلَا أَبْلَغُ هُنَا، فِي وَصْفِ
مَا تَقَدَّمَ وَفِي وَصْفِ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، مِنَ الْإِسْتِشْهَادِ
بِمَا جَاءَ، لِسَنَوَاتٍ خَلَّتْ، تَحْتَ قَلَمِ رَجُلٍ هُوَ الْيَوْمَ

أَحَدُ أَعْضَاءِ «كُتْلَةِ الْوَفَاءِ لِلْمُقَاوَمَةِ»، وَهِيَ كُتْبَةُ كُتْلَةِ
«حِزْبِ اللَّهِ» فِي الْبِرْلَمَانِ اللَّبْنَانِيِّ:
«كَانَتْ حَرَكَتُهُ أَمَلٌ تُشَكِّلُ التَّنْظِيمَ الشَّيْعِيَّ الرَّئِيسِيَّ
عَلَى السَّاحَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ [...] وَبَرَزَ اسْمُ أَمَلٍ فِي
الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَوَالَتْ عَلَى السَّاحَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ، خَاصَّةً
فِي الْفَتْرَةِ الْمُتَمَدِّدَةِ بَيْنَ الْعَامَيْنِ ١٩٨٠ وَ ١٩٨٢، حِينَ
وَقَعَتْ سِلْسِلَةٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ أُبْرَزَهَا ازْدِيَادُ الْمَشَاكِلِ
بَيْنَ أَمَلٍ وَالْفِلَسْطِينِيِّينَ، فِي بَيْرُوتَ وَقُرَى الْجَنُوبِ
[...] كَمَا انْعَكَسَتْ تَطَوُّرَاتِ الْحَرْبِ الْعِرَاقِيَّةِ | الْإِيرَانِيَّةِ
فِي أَحْيَاءِ بَيْرُوتَ وَقُرَى الْجَنُوبِ، إِذْ حَاوَلَ نِظَامُ
صَدَّامِ حُسَيْنٍ اسْتِغْلَالَ السَّاحَةَ اللَّبْنَانِيَّةَ لِتَوْسِيعِ نِطَاقِ
الْمُجَابَهَةِ مَعَ إِيرَانِ [...]».

وَفِي الْمُقَابِلِ، كَانَتْ إِيرَانُ قَدْ بَدَأَتْ تَسْتَعِيدُ قُوَّتَهَا
وَتَحَرَّرَ بَعْضُ أَرَاضِيهَا، فَبَدَأَتْ بِمُسَاعَدَةِ الْإِسْلَامِيِّينَ
فِي لُبْنَانَ، وَفَتَحَتْ خُطُوطًا مَعَ كُلِّ الْإِتِّجَاهَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَمِلَتْ عَلَى تَبْنِي الْجَوِّ الْإِسْلَامِيِّ بَعِيدًا
عَنِ التَّفَاصِيلِ الْفَرْعِيَّةِ، وَلِهَذَا الْغَرَضِ، تَمَّ تَشْكِيلُ
لَجْنَةٍ خَاصَّةٍ مُهِمَّتُهَا تَنْسِيقُ الدَّعْمِ لِلْمُؤْمِنِينَ
الْعَامِلِينَ فِي الْخَطِّ الْإِسْلَامِيِّ، فَنَمَا حُضُورُ هَذَا
الْخَطِّ الشَّعْبِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَالْأَمْنِيِّ، بَعْدَمَا تَشَكَّلَتْ

مَعَ مَطْلَعِ الثَّمَانِيَّاتِ مَجْمُوعَةً أَمْنِيَّةً خَاصَّةً، أَصْبَحَ لَهَا وَزْنُهَا وَثِقْلُهَا، وَاسْتَطَاعَتْ فِي فِتْرَةٍ وَجِيْزَةٍ إِثْبَاتَ جِدَارَتِهَا، فِي حِمَايَةِ الْخَطِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَشَكَّلَتِ الدَّرَاعَ الْعَسْكَرِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَحْتَاجُهَا، لِحِمَايَةِ تَشْكِيلَاتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَتَجَدَّرُ، فِي بَلَدٍ يَحْتَاجُ فِيهِ أَيُّ حُضُورٍ سِيَاسِيٍّ إِلَى حُضُورٍ عَسْكَرِيٍّ فَاعِلٍ.

وَجَاءَ تَفْجِيرُ السَّفَارَةِ الْعِرَاقِيَّةِ [...] بِسَيَّارَةٍ مُفَخَّخَةٍ [...] فِي رَبِيعِ الْعَامِ ١٩٨١، لِئُشَكَّلَ دَفْعًا جَدِيدًا لِنُموِّ التِّيَّارِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلَكِنْ مَا إِنْ أَطْلَلَ شَهْرُ حُزَيْرَانَ مِنْ الْعَامِ ١٩٨٢، حَتَّى كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَنْقَلِبُ رَأْسًا عَلَى عَقْبٍ، مَعَ بَدَايَةِ أَوْسَعِ اجْتِيَاكِ إِسْرَائِيلِيٍّ أَسْقَطَ أَوَّلَ عَاصِمَةِ عَرَبِيَّةٍ [...]».

الخطيئة السياسية التي لا كفارة لها

كَأَنِّي بِالِاسْتِنْتَاغِينَ اللَّذِينَ أَرَّغَبُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ لَا يَحْتَاجَانِ إِلَى مَزِيدِ بَيَانٍ:

أَوَّلًا: «حِزْبُ اللَّهِ»، كَمَا نَعْرِفُهُ الْيَوْمَ، وَبِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْمَلَابَسَاتِ وَالْمُنَازَعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي تَخَلَّلَتِ الْفِتْرَةَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ «سَنَوَاتِ التَّقِيَّةِ» وَبَيْنَ لَحْظَةِ الْإِشْهَارِ، هُوَ

ابنُ شَرَعِيٍّ مِنْ أبنَاءِ «الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ» وَإِنَّمَا يُرَكِّبُهُ عَلَى إِخْوَتِهِ مِنْ أبنَائِهَا، مَنْ شَاخَ مِنْهُمْ وَمَنْ انْقَرَضَ، مَا تَوَقَّرَ لَهُ مِنْ ظُرُوفٍ مَحَلِّيَّةٍ وَإِقْلِيمِيَّةٍ حَفِظَتْ لَهُ أَسْبَابَ الْبَقَاءِ وَالْحَيَوِيَّةِ.

ثَانِيًا: «الْحَرْبُ»، سَوَاءٌ أَكَانَتْ أَهْلِيَّةً أَمْ غَيْرَ أَهْلِيَّةٍ، هِيَ بَيِّنَتُهُ الْحَاضِنَةُ وَشَرَطُ بَقَائِهِ الْمَشْرُوطُ.

لَا أُرِيدُ مِنْ قَوْلِي إِنَّ «حِزْبَ اللَّهِ» ابْنَ شَرَعِيٍّ مِنْ أبنَاءِ «الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ» أَنْ أُعِيدَ حَقِيقَةً تَارِيخِيَّةً صَلَّتِ الطَّرِيقَ إِلَى نِصَابِهَا بَلْ أَنْ أَسْأَلَ - أَنْ أَسْأَلَ نَفْسِي قَبْلَ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ - فِي مَعْرِضِ حَلِّ الْجَفْرِ الَّذِي نَتَحَلَّقُ الْيَوْمَ حَوْلَهُ: بِكُمْ أَسْهَمَ التَّسْلِيمُ، فِي عِدَادِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ أُخْرَى، - التَّسْلِيمُ مِنْ بَابِ السَّذَاجَةِ، أَوْ مِنْ بَابِ الْمُجَامَلَةِ أَوْ شَرًّا مِنْ هَذَا وَذَلِكَ نُزُولًا عِنْدَ دَاعِيَةِ الْاِسْتِقَامَةِ السِّيَاسِيَّةِ، بِأَنَّ «حِزْبَ اللَّهِ» هُوَ ابْنُ «الْمُقَاوَمَةِ»، لَا ابْنُ «الْحَرْبِ» وَرَبِيبُهَا، فِي أَنْ يَتَحَوَّلَ، شَيْئًا فَشَيْئًا، إِلَى هَذِهِ الْأُلْغُورَةِ الَّتِي لَا يَزِيدُهَا التَّغَاضِي عَنْ أَصْلِهَا وَفَصْلِهَا إِلَّا غُمُوضًا؟ جَوَابِي، لِنَفْسِي، قَاطِعٌ لَا يَحْتَمِلُ الْاجْتِهَادَ: إِنَّ حَمَلَ «الْمُقَاوَمَةِ» عَلَى مَحْمَلِ الْفِرَاشِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ

«حزب الله» ليس خطأً تاريخياً فحسب بل خطيئةً
سياسيةً لا كفارة لها. فمن يسلم بأنه في هذا
الفراس ولد، مسوقاً حكماً إلى الإقرار له بصفة
أو أكثر من صفات «حركات التحرر الوطني» ومن
يفعل لا بد أن يعامله معاملة هذه الحركات وأن
يتوقع منه، وأن يتوقع له، أن يسلك سلوك هذه
الحركات في انتقالها من «الثورة» إلى «الدولة»...

بين يدي «حزب الله»، وبشهادة السنوات الثماني
عشر الماضية، أي منذ الإنسحاب الإسرائيلي الذي
ارتفع معه، نظرياً وعملياً، السبب الموجب
لـ«المقاومة» - على افتراض أن هذه «المقاومة» لم
تكن أحد الأسباب التي أدامت فترة الاحتلال - نحن
أمام أحد اثنتين: إما متابعة «حزب الله» في دعواه
بأنه نسيج وحده، ونموذج فريد لا محل للاستعجال
انتقاله من «الثورة» إلى «الدولة»، بفضل من
فراذله المزعومة هذه، وأما التشكيك ابتداءً بأنه
مولود تحت «برج المقاومة» والبحث له عن نسب
آخر، واستطراداً، عن سيرة أخرى.

يُفضي بي ما تقدّم إلى الاستنتاج الثاني: «الحرب»،

سواءً أكانت أهليَّةً أم غير أهليَّةٍ، هي بيئته «حزب الله» الحاضنة وشرط بقائه المشروط. وهنا، أكثر من أي محل آخر ورد فيه ذكر الحرب خلال هذه المداخلات، أصر على معنى الحاصرتين اللتين أحيطت كلمة حرب بهما، ولا سيما وأن «حزب الله» متورط حالياً في عدد من الحروب بالمعنى الحرفي للكلمة. ليس لحرب، بصرف النظر عن عدالتها، أن تباع من الجماعة أو من الجمهور الذي يدعى إلى خوضها وإلى بذل التضحيات البشرية والمادية على مذبحها بوصفها كذا - أي بوصفها حرباً. بل قل إن الحرب، شأن ما يستخرج من باطن الأرض من موارد طبيعية لا يصلح للإستهلاك إلا بعد تكريره وتدويره وليس هذا بالسّر المكنون أو بالوصفة التي تخضع لأنظمة الملكية الفكرية. ومتى ما تسألنا على أن «حزب الله»، أو، بكلام أدق، ما بنتا نجمله تحت مسمى «حزب الله»، هو، في الوقت نفسه، تعبیر عن مشروع «تصدير الثورة» وأداة من أدوات هذا المشروع، أي تعبیر عن مشروع توسيع النفوذ الإيراني وأداة من أدواته، فلن نحتاج إلا لما تقتضيه التسمية الأمور بأسمائها من شجاعة لتسمي

«حِزْبِ اللَّهِ» بِاسْمِهِ الْحَقِيقِيِّ: حِزْبِ الْحَرْبِ الْإِيرَانِيَّةِ،
الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَوْجُهِ، الْمُتَنَقِّلَةِ بَيْنَ السَّاحَاتِ، النَّاطِقَةِ
بِشَتَّى اللَّكْنَاتِ، الْمُتَوَسِّلَةِ بِاللَّامِحِقِّ مِنَ الْقَضَايَا
وَالْبَاطِلِ مِنْهَا، وَالْمُتَّصِلَةِ، عَلَى غَيْرِ انْقِطَاعٍ، مُنْذُ
قُرَابَةِ أَرْبَعَةِ عُقُودٍ، وَالْمُنْذِرَةِ بِالِاسْتِرْسَالِ حَتَّى إِشْعَارِ
آخِرِ.

«حجابك أغلى من دمي»

كُتِبَ لِي أَنْ أُؤَلِّدَ وَأَنْ أَشُبَّ فِي حَارَةِ حُرَيْكَ، أَحَدِ
أَحْيَاءِ مَا يُطَلَّقُ عَلَيْهِ اسْمُ ضَاحِيَةِ بَيْرُوتِ الْجَنُوبِيَّةِ،
أَيِّ تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَأَزْعَمُ
بِأَنَّي رَأَيْتُ، بِأَمِّ الْعَيْنِ، كَيْفَ تَتَالَتْ وِلَادَاتُ مَا
نُطِّقُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ اسْمَ «حِزْبِ اللَّهِ» وَكَيْفَ تَحَوَّلَتْ
هَذِهِ الضَّاحِيَةُ، عَلَى مَرِّ الْأَرْبَعَةِ الْعُقُودِ الْمَاضِيَةِ،
إِلَى عَاصِمَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ
وَالْأَمْنِيَّةِ، وَإِنْ أَنْسَى لَا أَنْسَى أَنَّ أَحَدَ أَوَّلِ الشُّعَارَاتِ
الَّتِي اخْتَطَّهَا الْخُمَيْنِيُّونَ عَلَى جُذْرَانِ حَيْنَا كَانَتْ
ذَلِكَ الشُّعَارَ الدَّعَوِيَّ: «أُخْتِي، حِجَابُكَ أَغْلَى مِنْ
دَمِي»، وَإِذْ لَا أَنِي أُسْتَحْضِرُ هَذَا التَّفْصِيلَ كُلَّمَا
أُتِيحَتْ لِي الْمُنَاسِبَةُ، وَإِذْ أُسْتَحْضِرُهُ الْيَوْمَ حَيْثُ يَنْتَشِرُ
«حِزْبُ اللَّهِ»، بِالْمَعْنَى الْعَسْكَرِيَّةِ لِكَلِمَةِ انْتِشَارٍ، مِنْ
الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ إِلَى الْمُتَوَسِّطِ، تَحْتَ أَسْمَاءِ مُسْتَعَارَةٍ

شَتَّى، مَعَ مَا يُغْرِي بِهِ هَذَا الْإِنْتِشَارُ بِتَقْدِيمِ الْخَطَرِ
الْعَسْكَرِيِّ وَالْأَمْنِيِّ عَلَى سِوَاهُ مِنَ الْأَخْطَارِ، فَلِأَذْكَرَ
بِمَا يُفْتَرَضُ أَنَّهُ مَا مِنْ حَاجَةٍ لِلتَّذْكَيرِ بِهِ... لِأَذْكَرَ
بِأَنَّ الْجَبْهَةَ الْمَوْكُولَ إِلَى حِزْبِ الْحَرْبِ أَنْ يُرَابِطَ
عَلَيْهَا، وَأَنْ يُقَاتِلَ، تَمْتَدُّ مِنْ غُرْفَةِ النَّوْمِ إِلَى أَعَالِي
الْبِحَارِ مُرُورًا بِالْعَوَاصِمِ، وَلِأَذْكَرَ بِالْقَوْلِ السَّائِرِ: فِي
الْحَرْبِ، إِنَّمَا يَخْسِرُ الْحَرْبَ مَنْ يَتَعَقَّفُ عَنِ خَوْضِهَا!

” إِنَّ حَمَلَ «المُقَاوَمَةِ»

عَلَى مَحْمَلِ الْفِرَاشِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ «حِزْبُ اللَّهِ»
لَيْسَ خَطَأً تَارِيخِيًّا فَحَسْبُ بَلْ خَطِيئَةٌ سِيَاسِيَّةٌ لَا كَفَّارَةَ لَهَا. ۞